رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

مأزق الإنسان (رومية ٧: ١٤)

تأليف: دفيد روبر

يغطي هذا الدرس والدرس القادم رومية ٧: ١٤-٢٥. قبل ما نبدأ في هذين الدرسين، أرجو أن تجد بعض الوقت لقراءة هذه الآيات. ... هل فعلت هذا؟[١] إذا قرأتها، ما هو الشيء الذي ترك فيك انطباع؟ ما هو الخبر الذي استنتجته منه؟ إذا كنت تحاول أن تخدم الرب بضمير حي، قد تكون استجابتك شيء مثل هذا: «أني أعرف تماماً كيف شعر بولس آنذاك! لأني هكذا كنتُ أشعر من قبل!».

من الأشياء المثيرة في رومية ٧: ١٤-٢٥ هو أن معظم الناس غير المتخصصين في دراسة الكتاب المقدس يرون هذا النص بانه بسيط وواضح، قد تحيرهم بعض المصطلحات التي استخدمها بولس، ولكنهم يعرفون يأس بولس الرسول الذي كتب قائلاً:

> ... لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ ... الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. ... وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ!

قد تندهش عندما تعرف أن النص الوارد في رومية ٧: ١٤-٢٥ هو «من أحد النصوص الأكثر إثارة للجدل بين علماء الكتاب المقدس في الرسالة إلى أهل رومية»[٢]. أسمى جي دبليو مكغورمان هذا بـ«النص الأصعب تفسيراً في هذه الرسالة»[٣]. قال آر سي بيل أن الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية يُسمى بالأصحاح الذي به مشكلة في هذه الرسالة»[٤]. كتب جيمس إدواردز قائلاً: «لا يوجد في أي مكان من الرسالة إلى أهل رومية يرتفع فيه صداع المفسرون إلى هذا الحد»[٥].

بسبب الجدل الكثير حول هذا النص، سأقدم هذا النص في هذا الدرس وأتعامل بصفة أساسية مع المشكلة المتضمنة فيه. وفي الدرس القادم نكمل دراستنا لرومية ٧: ١٤-٢٥.

شرح المشكلة

جدل كبير

ما هو السبب في كل هذه الجلبة؟ كما ذكرنا في درسنا السابق، يدور معظم الجدل حول ماذا قصد بولس بضمير المفرد المتكلم في رومية ٧: ١٤-٢٥. هل كان يشير بذلك إلى ما اختبره هو شخصياً أم كان «يطبق هذا التعليم على نفسه مجازياً؟» لتوضيح ما أراد توضيحه (راجع ١ كورنثوس ٤: ٦)؟ ما توصلتُ إليه من خلاصة في الدرس السابق هو أن بولس كان يتحدث عن نفسه (وأن كل ما اختبره هو ما اختبره الآخرون أيضاً). هناك جانب آخر من الجدل وهو ما إذا كان بولس يقصد ما يختبره الشخص قبل أن يصبح مسيحياً أم بعد ما يصبح مسيحياً.

---

[١] إذا استخدمت هذا الدرس في فصل الدراسة أبدأ الحصة بقراءة النص الوارد في رومية ٧: ١٤-٢٥ بصوت عال. أو على الأقل الآيات الرئيسية فيها. ومن ثم أسأل الحضور بان يخبروك بردود أفعالهم لهذا النص.

[٢] دوغلاس جي موو في تفسيره بعنوان «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٢٣٣.

[٣] جي دبليو مكغورمان في درسه بعنوان «Romans 7 Once More» من مجلة «Southwestern Journal of Theology» (ربيع عام ١٩٧٦)، صفحة ٣١.

[٤] آر سي بيل في كتابه بعنوان «Studies in Romans»، صفحة ٦٣.

[٥] جيمس آر إدواردز في تفسيره بعنوان «Romans» من مجلد «New International Biblical Commentary»، صفحة ١٨٤.

كان معظم الكُتَّاب المسيحيون في القرن الثاني والثالث الميلادي يؤمنون أن بولس كان يتحدث عن الحالة قبل اعتناق المسيحية. ثم ابتداءاً بأوغسطين أصبح مشهوراً بان يُعْتَبَر هذا النص بانه يصف الصراع الداخلي الذي يختبره حتى المسيحيون الناضجون. وتوجد اليوم عدة اتجاهات لهذين الطريقتين من التفسير. وهذه اختلافات يدافع عنها بشدة الذين يعلموها. حذر ريشارد روجرس قائلاً: «لقد وقف الكثير من الرجال الصالحين والعظماء وما زالوا يقفون في طرفي هذه المعادلة، وعندما يختلف المسيحيين الصالحين في تفسير نص ما، لا نستطيع التأكد من من حقيقة الأمر إن لم يكن هناك إثبات قاطع»[٦].

يتطلب الأمر المزيد من الوقت والمساحة لكي أذكر الطرق العديدة للتعامل مع الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية وأُقَدِّم الحجج المساندة والمعاكسة لكل موقف. ولكن فيما يلي بعض الأفكار.

الذين يعتقدون أن بولس كان يقصد الحالة ما بعد اعتناق المسيحية يقولون أن الآية ١٤ تتغير من صيغة الماضي التي في الآيات السابقة لها (الْخَطِيَّةَ..خَدَعَتْنِي» آية ١١) إلى صيغة المضارع («مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ» آية ٢٠)[٧]. يشددون على انه لا بد أن بولس كان يتكلم عن نفسه في المضارع (أي بعبارة أخرى، كان يتحدث عن نفسه كمسيحي). ولكن ليست هذه حجة مقنعة، إذ أن الناس عادة يتحدثون عن الماضي كما لو كان ذلك في المضارع (قارن متى ١٧: ١١ و١٧: ١٢).

ما أريد توضيحه هو أن بولس كان يتحدث عن خبرته الشخصية قبل اعتناقه للمسيحية. قال بولس في النص الذي نحن بصدده أنه كان «مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٧: ١٤)؛ ولكنه قال قبل ذلك أنه «تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ» (٦: ٧؛ راجع الآية ١٤) عندما أصبح مسيحياً. وأيضاً تحدث بولس عن انه كان أسيراً لـ«نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ» (٧: ٢٣)؛ ولكنه شدد في الأصحاح التالي على أن الذين في المسيح قد تحرروا «مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ» (٨: ٢).

ما يعترض موقف ما قبل الاهتداء هو أن الصراع الداخلي الذي صوره بولس في الأصحاح السابع يبدو انه في تضارب مع تصريحات أخرى أدلى بها بولس بخصوص تفكيره قبل أن يصبح مسيحياً. بما يختص بخلفيته اليهودية، وصف نفسه في الرسالة إلى أهل فيلبي ٣: ٦ بهذه العبارة: «... مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ». وفي أعمال الرسل ٢٣: ١ قال بولس لمجلس اليهود: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ لله إِلَى هذَا الْيَوْمِ».

ربما الصراع هنا أكثر تصوراً من كونه حقيقة. في النص الذي من الرسالة إلى أهل فيلبي الوارد اعلاه، لم يكن بولس يدعي بالكمال. بل كان يقول انه لا يمكن لأحد أن يشير إلى الطقوس أو الشعائر الموسوية التي أخفق هو في العمل بها. هكذا أيضاً بما يختص بالعبارة «ضمير صالح» لم يقصد بولس بانه لم يفعل أي خطأ أبداً ولا انه لم يعشر بالذنب أبداً. بل كان يقل انه كان يفعل كل ما بوسعه دائماً ليعمل بما يمليه له ضميره.

لم يرد في أي مكان آخر من كتاب العهد الجديد نوع الصراع الداخلي الشديد الذي صوره بولس في رومية ٧: ١٤-٢٥[٨]. ربما يجب أن نعتبر هذا النص بانه يعطينا المزيد من البصيرة بما يختص بعواطف بولس (بصيرة توجد في هذا المكان وحده من الأسفار المقدسة. ربما كان بولس يكشف عن أحاسيس كان يكتمها قبل مواجهته مع يسوع {في طريق دمشق}. ليس من الصعب تصور أفكار مشباهة لهذه تغمر ذهن بولس خلال الأيام الثلاثة المؤلمة التي قضاها في دمشق قبل إهتداءه {أعمال ٩: ٩}). ربما كان بولس ينظر ببساطة إلى حياته اليهودية السابقة بوجهة نظره المسيحية الحاضرة. مهما كان الأمر، يبدو لي أن وجهة نظر بولس الأساسية في هذا النص الذي نحن بصدده عن اليأس الذي يأتي عند المحاولة بالوفاء بكل متطلبات الناموس اعتماداً على قدرته وحده.

---

[٦] ريشارد روجرس في تفسيره بعنوان «Paid in Full: A Commentary on Romans»، صفحة ١٠٣.

[٧] ورد هذا بصيغة المضارع في اللغة الأصلية.

[٨] يجب الذكر أيضاً انه ربما لم يكن لليهودي العادي يعاني من مثل هذا الاضطراب الداخلي (راجع رومية ١٠: ١-٤).

حالة البشر

وفي الوقت نفسه، اعترف بالشمولية في رومية ٧: ١٤-٢٥ التي تسمو فوق الاعتبارات العالمِية. كتب جي دي توماس بخصوص هذه الآيات قائلة:

> ليست هناك كتابة في سايكولوجية علم الإنسان {الانثروبولوجيا} من قبل أي كاتب تصف طبيعة الإنسان وما يحدث حقاً أثناء التجربة بطريقة أفضل مما تصفها هذه الآيات. ... استخدم بولس صيغة المتكلم المفرد ليوضح ما كان يقصده، ولكن ينطبق هذا فينا جميعنا[٩].

منذ الكتابات المبكرة وحتى الآن تكثر الشهادات عن صراع الإنسان الداخلي[١٠]. يُرى مثال عن الصراع الداخلي الشديد في الإنسان في القصة الكلاسيكية بعنوان «Dr. Jekyll and Mr. Hyde» للكاتب روبرت لويس ستيفن {«Robert Louis Stephenson»}[١١]. في أحد الافلام الغربية الحديثة تحدى هندي ثائر بطل الفلم قائلاً له: «يوجد بداخلك كلبين، أحدهما شرير والآخر جيد. يقاتل الكلب الخبيث الكلب الجيد دائماً ... أيهما يفوز؟» قال البطل في بادىء الأمر: «لا أعلم»؛ ولكنه استخلص قائلاً: «الذي اغذيه أكثر».

طبعاً الصراع الذي كتب عنه بولس ليس كالصراع المذكور في الأمثلة المعطى. إذ تتضمن هذه الصراعات على رغبة داخلية لعمل الشر، بينما صراع بولس نتج من رغبة القلب لعمل السلاح فقط - رغبة لم يستطيع المواظبة بها. ومع ذلك، كان صراع بولس مثل الصراعات الداخلية للإنسان يكفي لكل منا أن يطبق هذا على حياته الشخصية.

كلام ذو معنى

أرجو ألا ننسى هدف بولس من كتابة ما ورد في رومية ٧: ١٤-٢٥. لم يكن هدفه كسب عطفنا بما يختص بصراعاته الداخلية، ولا حتى لأن يعطينا بصيرة في سايكولوجية الإنسان. بل ظل يتحدث عن الناموس (راجع الآيات ١٤، ١٦، ٢٢، ٢٥). قال في الآيات من ١ إلى ٦ أن الناس تحرروا من الناموس (آية ٢). أهذا يعني أن الناموس لم يكن صالح؟ كلا. فقد دافع بولس عن الناموس في الآيات ٧ إلى ١٣ قائلاً أن الناموس بحد ذاته كان صالحاً، ولكن أن الخطيئة (إبليس) هو الذي استخدم الناموس ليثيره على العصيان. والآن ينهي بولس حواره في الآيات من ١٤ إلى ٢٥ مبيناً مشكلة الناموس الأساسية: حالما يخطأ الشخص، لا يقدر الناموس أن يزيل إثم تلك الخطيئة.

تصور الآيات من ١٤ إلى ٢٥ شخص تحت الناموس يحاول أن يكون صالحاً ويعمل أعمال صالحة بقدرته الشخصية. لاحظ كم مرة تظهر فيها صيغة المتكلم المفرد في هذا النص الذي نحن بصدده. هذا النص في تباين تام مع الذي يليه. يبين الأصحاح السابع ما لا استطيع «أنا» وحدي أن أعمل. أما الأصحاح الثامن فيخبر بما استطيع «أنا» والروح القدس أن نعمل.

هل نستطيع أن نعطي بتطبيق منطقي وأكثر شمولاً من هذا النص؟ نعم طبعاً. حتى المسيحيون الأمناء يحاولون أحياناً أن يعملوا الصلاح بقوتهم الخاصة. ولكن عند تطبيق هذا النص، لا يجب أن ننسى عن تركيز بولس على الناموس.

فحص النص (٧: ١٤)

تمجيد بولس

عند بداية هذا النص الذي نحن بصدده، نرى بولس يستمر في الدفاع ان الناموس. قال: «فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ ...» (آية ١٤). لقد استخدم صيغة المتكلم في حالة الجمع {«فَإِنَّنَا نَعْلَمُ»} لأنه كان يعرف أن معظم قُرَّاءه إن لم يكن جميعهم يوافقون معه. شدد على أن الناموس «پنيوماتيكوس πνευματικός» أي «روحي». قال جيمي أَلِّن أن الناموس كان روحي من عدة نواحي:

> في الأصل - الله هو الذي أتي به (قارن ١ كورنثوس ١٠: ٣-٤).

---

[٩] جي دي توماس في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word series»، صفحتي ٥١ و٥٢.

[١٠] يمكنك أن تقدم مثال توضيحي أو اثنين يفهما مستمعيك.

[١١] ورد هذا المثال التوضيحي في تفسير جيم تاونسند بعنوان «Romans: Let Justice Roll»، صفحة ٥٣.

في الهدف – كان القصد منه هو تطوير الإنسان روحياً.
في التوجيه – تكلم إلى أرواح الناس.

مأزق بولس

قال بولس «... وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ ...» (آية ١٤). تُرجمت كلمة «فَجَسَدِيٌّ» هنا من اليونانية «سارکينوس σάρκινος»[١٢]، وهي من الكلمة التي تعني «جسد» («سارکس σάρξ»). وكلمة : «سارکينوس» تعني أساساً «يتكون من جسد».

عندما قال بولس «وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ»، كان يضع التوكيد بذلك على مدى ضعفه. تصف الآيات التي تأتي بعد ذلك إنساناً يحاول أن يتعامل بتحديات الخطيئة وحده – ويسقط سقوطاً مخزياً. كما ذكرنا في الدرس السابق، شدد بولس على أن الناموس لم يكن المشكلة بل كانت المشكلة فيه هو بولس.

اختتم بولس التحليل المختصر ليأسه بالقول انه كان «مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ» (آية ١٤). التصوير هنا هو الرق والإشارة إلى الخطيئة وكأنها شخص. لقد ضرب الدلال بمطرقه وأصبح بولس عبد للخطيئة (راجع ٦: ٦، ١٧، ٢٠).

كانت المشكلة هي أن بولس لم يستطع أن يحفظ الناموس كاملاً. كان الناموس كامل، ولكن بولس لم يكن كاملاً. أصبحت الحالة كئيبة. سنرى مدى هذه الكئابة في نص درسنا القادم.

الخلاصة

التوكيد الذي وضعه بولس في الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية هو على ناموس موسى. ولكن ما قاله عن هذا الناموس قد يقال عن أي ناموس آخر بمفهوم ما. يشير الناموس إلى المشكلة. ولكن ليس من طبيعة الناموس أن يزيل الإثم عندما ننتهك وصاياه. بسبب ضعف الجسد لا نستطيع حفظ الناموس (أي ناموس) حفظاً كاملاً. لهذا نحن في حاجة شديدة إلى المسيح (راجع رومية ٧: ٢٥). بدون المسيح لا نقدر أن نعمل شيء غير أن نقول «وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ!» (آية ٢٤).

---

[١٢] ودت في بعض المخطوطات القديمة كلمة «سارکيكوس σαρκικός» ذات الصلة بـ«سارکينوس σάρκινος». ولكن يفضل الإثبات المخطوتي كلمة «سارکينوس».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩